

# تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 1- سورة مريم | من الآية 1 إلى 6

عبدالرحمن العجلان

ذكر رحمة ربك عبده زكرييا اذ نادى ربها نداء خفيا قال رباني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا - 00:00:00

وكانت امرأتي عاقرا فهبا لي من لدنك ولها يرثني ويرث منها ليعقوب واجعله ربها رضيا هذه السورة العظيمة تسمى سورة مريم وتسمى باسم اولها سورة كاف اها يا عين صاد - 00:00:33

وهذه السورة مكية نزلت بمكة قبل ان يهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقد حصل الاتفاق بين علماء التفسير علماء القرآن بتسمية سور ان ما نزل قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة - 00:01:09

يسمي مكي وان نزل على الرسول خارج مكة وما نزل بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة يسمى مدني وان نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة - 00:01:53

او في غيرها من البلدان خارج المدينة وقد روی عن ابن عباس رضي الله عنه وعن ابن مسعود وعن ام سلمة رضي الله عنها رضي الله عن الجميع ان هذه السورة - 00:02:20

مكة وقالت ام سلمة رضي الله عنها فيما رواه الامام احمد رحمه الله وغيره لما ذهب المهاجرون الاولون من مكة الى الحبشة وكان كبيرهم جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وارضاه - 00:02:47

وفدوا على النجاشي واكرم وفادتهم. رضي الله عنه شعل النجاشي جعفر بن ابي طالب هل معك شيء مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال نعم وقرأ عليه صدرا - 00:03:22

من سورة مريم هذه السورة حتى افضل لحيته بالدموع لما سمع القرآن وكذا من معه من الاساقفة علماء النصارى بكوا بما سمعوا من القرآن والله جل وعلا يقول ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى - 00:03:48

ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وقيل ان هذه الآية - 00:04:33

نزلت في النجاشي ومن معه لما سمعوا القرآن من جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فهذه السورة نزلت قبل هجرة المهاجرين من مكة الى الحبشة يقول الله جل وعلا - 00:04:59

هيا عين صاد هذه الحروف المقطعة في اوائل سور تكلم فيها العلماء رحمهم الله وقد تقدم الكلام على شيء من اقوالهم في اول سورة البقرة لانها المبدوءة بقوله جل وعلا الف لام ميم ذلك الكتاب لا رب فيه - 00:05:33

قال بعض العلماء رحمهم الله الله اعلم بمراده بذلك ولم يتعرضوا لها بتفسير وقال بعضهم مرادا بها التعجيز والتحدي لکفار قريش بان هذا القرآن الذي اعجزكم وتحداكم فيه هو مؤلف من هذه الحروف التي تنطقون بها - 00:06:13

لم يأتي بشيء غريب ما تستطيعون النطق به وقد تحداهم الله جل وعلا بان يأتوا بمثله ثم تحداهم بان يأتوا بعشر سور من مثله ثم تحداهم بان يأتوا بسورة من مثله - 00:07:00

فعجزوا وهم البلاء الفصحاء وذلك ان كلام الله جل وعلا لا يستطيع البشر مهما اتوا من الفصاحة والبلاغة بان يأتوا بمثله ولو لا ان

الله جل وعلا يسره وسهله علينا ما استطاع المخلوقون ان يتكلموا به - [00:07:28](#)  
ولكن الله جل وعلا من لطفه بعباده وتيسير امور دينهم ان يسر هذا القرآن لهم كما قال الله جل وعلا ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر فيسره الله جل وعلا وسهله - [00:07:58](#)

على العرب والعجمي تجد العجمي الذي لا يستطيع النطق بكلمة عربية ينطق بالقرآن نطا فصيحا صريحا فاذا خاطبته بكلمة عربية خارج القرآن ما استطاع ان يفهم ما تقول [تيسير من الله - 00:08:25](#)  
وتسهيل لعباده ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر وقال بعضهم ما رؤي عن ابن عباس رضي الله عنه ان هذه الحروف اسماء من اسماء الله جل وعلا. يقول كاف عين صاد - [00:08:51](#)

اسم من اسماء الله وقيل هي اسم من اسماء القرآن او اسماء السور التي افتتحت بها تقول سورة الف لام ميم السجدة سورة الف لام ميم البقرة سورة كاف هيا عين صاد - [00:09:22](#)

اسم من اسماء السور وقيل هي ترمز الى اسماء الله جل وعلا فكل حرف يشير الى اسم من اسماء الله جل وعلا فالكهف ترمز الى اسم الكريم. كما روي عن ابن عباس - [00:09:54](#)  
والكبير كبير وكريم والهاء ترمز الى اسم الهادي والياء ترمز الى اسم رحيم والعين ترمز الى اسم عليم والصاد الى اسم صادق من اسماء الله جل وعلا وقيل معناه كاف لخلقه - [00:10:24](#)

هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده فكل حرف يرمز الى كلمة يراد بها تعظيم الله جل وعلا ذكر رحمة ربك عبده ذكريها زكريا نبي عظيم من انباءبني اسرائيل - [00:11:06](#)

على نبينا عليه وعلى اخوانهم من النبئين افضل الصلاة والسلام ويرى انه عليه الصلاة والسلام كان نجارة يأكل من عمل يده وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في ان يأكل المرء من عمل يده - [00:11:45](#)  
لانه من احل انواع الكشف وذكر يصح ان يكون مبتدأ وخبره ما بعده ويصح ان يكون خبر لمبتدأ محفوظ تقديره هذا ذكر رحمة ربكم ومبتدعه هذا والمعنى في هذه الآيات - [00:12:22](#)

يذكر رحمة ربكم عبده زكريا رحمه الله جل وعلا ولطف به فاستجاب له دعاءه ورزقه الذرية الصالحة الولد الصالح بعد ما كبر واصابه الضعف وامرأته عاقرا لا تلدوا حينما كان سنها - [00:13:07](#)

قابلة للولادة فما كانت تلد فلطف الله بهما فرزقهما الولد بعدما كبرا ذكر رحمة ربكم عبده وصفة العبودية افضل صفة يتتصف بها عبد الله جل وعلا كلما حقق العبد معنى العبودية الحقة - [00:13:51](#)

نال الصفة العظمى ونبيانا صلى الله عليه وسلم موصوف بصفات الكمال بالنسبة للبشر فهو نال اعلى الصفات التي يمكن ان ينالها بشر اما صفات الخالق جل وعلا فهي لا تصلح لمخلوق ولا تليق بمخلوق مهما كان علو مرتبته ومنزلته عند - [00:14:42](#)  
الله جل وعلا الله جل وعلا موصوف بصفات الكمال التي لا تشبه صفات المخلوقين والخلق يتفاوتون في صفات في الصفات التي يمكن ان يتتصف بها البشر ونبيانا صلى الله عليه وسلم - [00:15:18](#)

مال الصفة العليا من صفات البشر صلوات الله وسلامه عليه وقد وصفه الله جل وعلا بالعبودية في افضل المواطن وقال جل وعلا سبحان الذي اسرى عبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى - [00:15:47](#)

عند ذكر صفة الاسراء وصفه جل وعلا بصفة العبودية وعند ازال الكتاب عليه قال جل وعلا الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ان نزول الكتاب وصفة الوحي والرسالة وصفه جل وعلا بالعبودية - [00:16:17](#)

وحال الصلاة والسجود لله جل وعلا وهي اقرب ما يكون العبد من ربه وصف الله جل وعلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالعبودية. فقال وانه لما قام عبد الله - [00:16:50](#)

يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا. اي الجن لما قام يصلى عليه الصلاة والسلام وقرأ القرآن تجمع عليه الجن يستمعون لقراءته وانه لما قام عبد الله وهنا وصف الله جل وعلا زكريا على نبينا عليه افضل الصلاة والسلام بالعبودية - [00:17:16](#)

فقال ذكر رحمة ربك عبده زكريا ثم بين جل وعلا ما رحمه به استجابة دعائه فقال اذ نادى ربه نداء خفيا من هو زكريا عليه السلام اذ  
نادى ربه دعا ربها - 00:17:52

دعاء ونداء خفيا سرا لم يطلع الناس على ندائه هذا لما لم يطلع عليه من مهنه من المؤمنين ويجعلهم يؤمنون على دعائه لم يطلعهم  
وانما كما روي انه دعا وقت السحر - 00:18:27

في قيام الليل حالة نوم الناس لما كان هذا الدعاء خفية لامور اولا ان المؤمن اذا ايقن ان الله جل وعلا يستوي عنده السر والجهر فهذا  
ایمان بسعة علم الله جل وعلا وشموله - 00:18:59

فالمؤمن اذا ايقن ان السر والجهر عند الله سواء فهذه صفة حسنة ثانيا ان السر اقرب للاخلاص لله جل وعلا وكلما اشر العبد في دعائه  
وتضرعه الى الله جل وعلا - 00:19:49

هو اقرب الى اخلاصه لله جل وعلا بالعبادة ثالثا ان زكريا عليه السلام يتضرع الى الله جل وعلا بان يجعل له ولها من بعده ولم ينطق  
بالولد وانما طلب ان يكون له ولد - 00:20:23

وقد روي انه حينما رزق بيحيى كان عمره بضع وتسعون سنة قربة المئة وزوجته قريبة من ذلك ودعا بالولد وبالشيعه السائر بين  
الناس ان الذي يمكن ان يولد له يدعو الله جل وعلا ان يرزقه الذرية الصالحة - 00:20:54

لكن اذا قارب المئة وزوجته قريب من ذلك لو دعا بان يرزق ولد وليس عنده الا هذه الزوجة فقيل ان هذا من الجهل فخشية ان ينتقد  
عليه او يوصف بالتجهيل - 00:21:31

اشر واخفي دعاء عليه السلام او قد يقال انه قصد بالولد عزة الدنيا والانتفاع به في الدنيا وهذا امر من امور الدنيا ولا ينفي النبي  
ان يسأل شيئا من امور الدنيا او مما يتعزز به في الدنيا - 00:21:57

فلان لا ينتقد عليه في هذا او هذا اخفى واسر دعاء لله جل وعلا وعلى كل فكلما اشر العبد فهو اخر للاجابة اذ نادى ربه نداء خفيا  
قال رب اني وهن العظم مني - 00:22:30

وهنا بمعنى ضعف ضعف العظم والعظم هو اقوى شيء في الانسان اشد شيء فيه عظامه فإذا ضعفت العظام فشائر الجسم من باب  
اولى بالظعن وقال عظم ليراد به الجنس يعني كل عظمي - 00:23:12

فيشمل الجميع ولم يقصد بذلك ضعف عظام الظهر او عظام القدم او عظام الرأس وانما قال وهن العظم مني انس العبد كل العظم  
الذي في وهنا وضعف وذلك من الكبر - 00:23:53

عليه السلام انه كان فيما رؤي ما بين التسعين والمئة بضع وتسعون سنة وانا العظم مني واشتعل الرأس شيئا اشتعل شبه مخالطة  
الشيب لسوداد شعر الرأس باشتعال النار بالحطب اليابس - 00:24:21

وكما قال ابن دريد واحتفل المبيض في مسوده كاشتعال النار في جزل الغطاء خرت المشيب السوداد فترة وجيزه ويقضي على كل  
سوداء فيه واحتفل الرأس شيئا علامه على ان ليس هذا الوهن في العظم - 00:25:07

من مرض يمكن ان يزول لان الشاب قد يمرض تضعف عظامه وقوته ثم يمن الله عليه بالشفاء فتعود اليه صحته كما كان سابقا لكنه  
اكد ان هذا الوهن من الكبر - 00:25:45

ووهنوا العظم من الكبر لا يرجى له عود الى النشاط واحتفل الرأس شيئا ولم اكن بدعائك ربى شقيا منذ من انت علي بالهدایة  
وال توفيق ما جربت يا رب اني دعوتك فردت دعائي - 00:26:12

المرء اذا اجتهد في امر من الامور ثم وفق فيه للنجاح يقال سعد في عمله ونجح في عمله ولا يحس بهذا للتتعب لانه وفق اذا اجتهد  
الامر العبد في امر من الامور - 00:26:55

ثم لم يوفق فيها يقال شقي في عمله هذا ما نال منه مراده وزكريا عليه السلام يجتهد في عبادة ربه ودعائه فيرى الاجابة استجابوا له  
باستمرار من ربه جل وعلا - 00:27:37

فلم يكن بداعه الله شقيا بان يتتعب ولا ينال شيئا فليتتعب وينال مراده فيكون سعيدا بعمله هذا وقد قال العلماء انه يستحب للمرء اذا

اراد ان يدعوا الله جل وعلا - 00:28:06

ان يجمع بين حاجته وفقره وتذللها وذكرى تفضل المنعم جل وعلا ثم يسأل حاجته اخذ هذا من هذه الاية يذكر حاجته وفقره ثم يذكر تفضل المنعم جل وعلا وفضله واحسانه - 00:28:43

ثم يسأل حاجته ربي اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا. هذا فيه ذكر الضعف. والافتقار لله جل وعلا والتجرد من الحول والقوه وانا العظم مني الرأس شيئا ثم ذكر - 00:29:27

تفضل المنعم جل وعلا وجوده واحسانه ما تعطي ما اسأل بل جربت منك الفضل والاحسان والجود والكرم ثم سأل حاجته واني خفت الموالي من ورائي. خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا - 00:29:56

فهب لي من لدنك ولها. جاء السؤال هنا هب لي من لدنك ولها خفت الموالي ما المراد بالموالي قيل العصبة بنوا الاعمام وقيل الكلاالة الاقارب من غير الوالد والولد وقيل المراد الورثة - 00:30:39

الموالي من ورائي خفت من بعدي خفت من من بعدي الا يقوموا بامرک يا ربی والدعوة الى طاعتک وعبادتك خفت ان يفرط قرابة فيما دعوتهم اليه واستجابوا له فاذا ذهب - 00:31:25

اخشى ان يضيعوا ذلك فاريد من يقوم بهذا الامر من صلب على ما تحب يا ربی خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا والعاقر هي التي لا تلد سواء كانت - 00:32:18

صفيرة عرف عنها عدم الولادة او بلغت سن اليأس يقال لها عاقر وكانت امرأتي عاقرا فذكر شيئا من صفاته وفقره وحاجته وكبر سنه وذكر ان امرأة مثلها لا يلد ولكنها طمع - 00:32:57

في فضل الله جل وعلا واحسانه وكرمه ولانه قد عوده ذلك وانا معكم بدعائكم ربی شقیا فسأل الولد فهب لي من لدنك ولها هب لي من لدنك من عندك يا ربی - 00:33:41

بفضلک واحسانک وجودک وکرمک ولیا اجعله یلی امیری من بعدی یرثونی ویرث من ال یعقوب یا یرثونی ماذا یرث؟ ما له نبوته وعلمه قال بعض المفسرين یرث مالی ویرث من ال یعقوب - 00:34:11

النبوة والعلم وهذا قول رده كثير من المفسرين رحمهم الله وقالوا اولا ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا یورثون لا تورث اموالهم لقوله صلی الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء - 00:34:56

لا نورث ما تركناه صدقة ولم يكن زکریا عليه الصلاة والسلام ليهتم بما له بعد موته حتى یطلب من الله جل وعلا ولدا يأخذ ما له من بعده ولكن اراد ان تبقى النبوة - 00:35:27

في من بعده یرث عنه النبوة من الله جل وعلا والعلم بان زکریا عليه السلام كما روی كبير ورئيس الحواريين فاراد ان يكون له ولد بهذه الصفة يقوم بمقام النبوة - 00:35:55

من بعده ويحافظ على هذه الوظيفة العظمى ويدعو اليها ويقوم بها خشية ان یترك اقرباء زکریا وعصبته هذا الامر الذي كانوا عليه معه في حياته فاراد ان يكون له من بعده ولد يقوم مقامه - 00:36:23

یرثني ویرث من ال یعقوب العلم والحكمة لانه من ذریتی یعقوب ابن اسحاق ابن إبراهیم عليهم وعلى نبینا افضل الصلاة والسلام ویعقوب هذا المسمى اسرائیل وهو والد یوسف عليه السلام - 00:37:08

یرثني ویرث من ال یعقوب واجعله ربی رضیا رضیع راضیا مطمئنا مرضیا عنه الله عنه يا ربی وعن فعاله كما قال الله جل وعلا عنه عليه الصلاة والسلام في سورة ال عمران - 00:37:55

هناك دعا زکریا ربی هب لي من لدنك ذریة صالحة طيبة انك سميع الدعاء المسلم لا یسائل الذریة فقط او الولد وانما یسائل الصلاة والاستقامة لان بعض الذریة عدو - 00:38:30

ويتألم الوالد منه النك والتعب والمشقة والعقوق والاذى كما قال الله جل وعلا ان من ازواجکم واؤلادکم عدوا لكم فاحذروهم فبعضهم عدو واجعله ربی رضیا. لم یطلب الولد فقط وانما طلب - 00:39:01

ولدا متصف بهذه الصفات الرضا راض مطمئن مرضيا عنه ربه راض عنه والداه راضيان عنه فينال بهذا الرضا سعادة الدنيا والآخرة  
وأجعله ربی تضرع الى الله جل وعلا بهذا الدعاء - [00:39:41](#)

وربنا جل وعلا جواد كريم فاستجاب له دعاءه كما سيأتي ذلك في الآيات بعد هذه والله اعلم. وصلى الله وسلم وبارك على عبده  
رسول نبينا محمد وعلى الله وصحبه اجمعين - [00:40:28](#)